الدلالة المعجمية وأثرها في تفسير نصّ الحديث النبوي، دراسة دلالية في كتاب (إكمال المُعْلِمِ بفوائد مسلم، للقاضي عياض، 544هـ)

د. محمد علي الزائدي
جامعة المرقب
6asmz6@gmail.com

الحمد لله الذي علم الإنسان، وخلق البيان، وكل شيء وضعه بميزان، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمة والإحسان، صاحبِ الفصاحة والبيان، الذي أعجز بيانه أهل البلاغة واللسان.

وبعد

فإن هذه الورقة البحثية التي عنونت بـ(الدلالة المعجمية وأثرها في تفسير نص الحديث النبوي، دراسة دلالية في كتاب (إكمال المعْلِمِ بفوائد مسلم، للقاضي عياض، 544هـ)) تتناول أساسًا من أسس تفسير نص الحديث، وهو الدلالة المعجمية للكلمات التي يتألف منها النص الشريف، وكيف وظّفَ علماءُ شرح الحديث هذا الجانب الدلالي في تقريب فهم النص، وشرح بعض الألفاظ التي صار معناها بعيد الإدراك عن أفهامنا، أو أن هذه المفردة لها عدة معاني خارج السياق التركيبي لها، فكان لمعجم الألفاظ دور مهم في حفظ هذه المعاني، أو تحديد العلاقات الدلالية بين هذه المعاني التي تتوارد على العنصر اللغوي خارج سياقها كالترادف والاشتراك اللفظي والتقابل والتضاد وغيرها.

وترتكز الدلالة المعجمية على بيان المعنى الموضوع أصلا للكلمة، ثم تنتقل إلى معانٍ أخر اكتسبتها من سياقات مختلفة، إما عن طريق الاستعارة أو التشبيه أو غيرها، وكذلك تقوم الدلالة المعجمية بتتبع وبيان تطور المعنى الاستعمالي للكلمة، أو الاستعمالات الدلالية المختلفة للكلمة بحسب اللهجات المتباينة، وكذلك من وظائف الدلالة المعجمية بيان ما تستعمله العرب من

كلمات من حيث أصالُتها وما هو معرّب وما هو دخيل وغيرها، ولذلك نجد التنوع في أسس وضع المعاجم اللغوية.

ولما كان من أسس علم تفسير النصوص الإلمام بعلوم اللغة المختلفة، فقد أولى العلماء اهتمامهم بها واستخدموها في شروحهم للوصول إلى معنى النص، وقد انتهج كثير من شراح الحديث الابتداء بتحليل المكونات الدلالية للعناصر اللغوية وبيانها، مستشهدين على ذلك بالكلام العربي من مختلف مصاره، وعلى هذا المنهج سار الإمام المازَري في كتاب المعلم بفوائد مسلم، والقاض عياض في إكمال المعلم، وأحاول في هذه الورقة أن أقف على خصائص هذا المنهج في هذا الكتاب، ولكبر حجم الكتاب اكتفيت بدراسة كتاب الإيمان، وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على أساس وصف النموذج اللغوي الوارد في الشرح وتحليل دلالته المعجمية التي استعملها الشارح في بيان مفهوم نص الحديث، ورأيت في إعداد هذه الورقة أن تقسم على:

ـ المقدمة، وفيها

- تعريف موجز بالعلمين، والكتاب.

ـ المبحث الأول

- الدلالة المعجمية
- بيان دور المعجم اللغوي عند المفسرين والشراح.

ـ المبحث الثاني

- توظيف الدلالة المعجمية في كتاب إكمال المعلم
- نماذج من استخدام الدلالة المعجمية في الكتاب

ـ الخاتمة

الإمام المازري

الإمام الفقيه المالكي المحدث، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد التميمي المازري، بفتح الميم وبعدها ألف ثم زاي مفتوحة وقد تكسر أيضا ثم راء، نسبة إلى مازر ، " وَمَازَرُ: بُلَيدَةٌ مِنْ جَزِيْرَةِ صَقَلِّيَّةَ بِفَتحِ الزَّايِ, وَقَدْ تُكسَرُ. قَيَّدَه ابْنُ خَلِّكَانَ"[1].

لم تذكر كتب التراجم تاريخ مولد الإمام المازري ولا مكانه [2] ، غير أن بعض كتب التراجم ذكرت أنه عاش ثلاث وثمانين سنة [3]، وأنه صقلي الأصل، وذكر ابن فرحون "نزل المهدية من بلاد إفريقية"[4]، ولعله كما ذكر بعض المؤرخين أن والده ترك صقلية لمّا ساءت حال المسلمين فيها وذلك قبل أن يحتلها النرمان[5].

بدأت نشأته العلمية في بلاد تونس، وأخذ عن أعلامها، وكانت النشأة الفقهية على اللخمي وابن الصائغ[6]، وتميز ببراعته في عدة علوم، فكان فقيها مالكيا، قال ابن غازي: " وخصّ المازري بالقول؛ لأنه لما قويت عارضته في العلوم، وتصرّف فيها تصرف المجتهدين كان صاحب قول يعتمد عليه"[7]، وصفه صاحب شجرة النور الزكية بأنه خاتمة العلماء المحققين، وأنه برع واجتهد حتى نال درجة الاجتهاد [8]، ولمّا استقر بالمهدية تصدر للتدريس بجامها الكبير (جامع عبيد الله المهدي)، وذاع صيته وانشهر علما من أعلام المالكية.

شيوخه

الإمام المازري رحمه الله قد أخذ عن كثير من علماء تونس، ومن هؤلاء العلماء:

---

(1) سير أعلام النبلاء: 482/14 .
(2) ينظر الإمام المازري (نوابغ المغرب العربي): 49.
(3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 285/4.
(4)الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: 250/2 .
(5) ينظر الإمام المازري (نوابغ المغرب العربي): 49-50، ومقدمة كتاب المعلم بفوائد مسلم: 32/1-33.
(6) ينظر مقدمة كتاب المعلم بفوائد مسلم: 35/1.
(7) شفاء الغليل في حل مقفل خليل: 118/1 .
(8) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 187/1 .

أبو الحسن علي بن محمد الربعي، المعروف باللخمي، (ت: 435هـ)[9] .

عبد الحميد بن محمد الهروي، ابن الصائغ (ت : 486هـ)[10].

أبو محمد القاسم بن محمد، المعلم، الأندلسي [11].

ولا شك في أن المازري قد تلقى العلم على كثير من الشيوخ، وكثير منهم لم يكن لهم ذكر في كتب التراجم، وكان معظم من ترجم له ذكر من شيوخه اللخمي وابن الصائغ.

تلاميذه

الإمام المازري من أعلام المالكية الذين ذاع صيتهم وانتشر علمهم، فأقبل عليه طلبة العلم، و"أخذ عنه من لا يُعد كثرة"[12]، ومن هؤلاء التلاميذ:

علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الضحاك الفزاري (ت: 557هـ)[13].

محمد بن يوسف بن سعادة (ت: 565هـ)[14]

محمد بن عب الرحيم الأنصاري الخزرجي، ابن الفرس (ت: 567هـ)[15] .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (الحفيد) (ت: 595هـ)[16].

وللإمام آثار علمية متمثلة في كثرة تلاميذه ومؤلفاته، ومن هذه المؤلفات:

المعلم بفوائد مسلم، إِيضَاحِ المِحْصُوْلِ فِي الأُصُوْلِ، المعين على التلقين، تعليق على مدونة سحنون، نظم الفرائد في علم العقائد، وغير ذلك[17].

---

(9) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 8/ 109، والأعلام للزركلي: 328/4.

(10) ينظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: 25/2.

(11) ينظر التكملة لكتاب الصلة: 70/4-71 .

(12)شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 187/1، وقد ذكر كثيرا من تلاميذه .

(13)ينظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: 117/2، .

(14) ينظر معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي: 176 .

(15)ينظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: 261/2.

(16) ينظر نفسه: 259/2 .

(17) ينظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 187/1، والإمام المازري (نوابغ المغرب العربي):59 وما بعدها.

توفي رحمه الله بعد رحلة مليئة بالعلم "في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة يوم الإثنين ثاني الشهر المذكور بالمهدية، وعمره ثلاث وثمانون سنة، ودفن بالمنستير[18].

القاضي عياض

المحدث الحافظ القَاضِي أَبُو الفَضْلِ ، عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرِو بنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصِبِيُّ، نسبة إلى يحصب قبيلة عربية من حمير، ولد بمدينة سبتة في سنة ست وسبعين وأربعمائة، وأصله من العرب الذين استوطنوا الأندلس ، وسكن أجداده بِحمة بسْطه، ثم انتقل جده إلى فاس، ثم سكن سبتة.[19]

ومن مدينة سبتة التي ولد بها بدأت حياته العلمية فأخذ عن مشائخها، ثم رحل إلى الأندلس[20]، لطلب العلم، وأخذ عن علماء قرطبة، ومنهم أَبو الْحُسَيْنِ بنِ سِرَاجٍ وَأَبو عَبْدِ اللَّهِ بنِ حَمْدَيْنِ وَأَبو الْقَاسِمِ بنِ النَّخَّاسِ وَابْن رُشْدٍ وَابْن عَتَّابٍ وَغَيْرِهِمْ ثم رَحَلَ إِلَى مُرْسِيَّةَ.

أخذ القاضي عياض رواسي العلم وأصوله في الأندلس وصحب بها القاضي أبي عليّ الصدفي، وبرع في العلوم و أجازه القاضي الحافظ أبو علي الغساني، وذاع صيته وانتشر ذكره وشاع فضله، "قال ابن بَشْكُوال: هو من أهل العِلْم والتَّفنن والذَّكاء والفَهْم، استُقْضي بسَبْتة مُدَّة طويلة، حُمِدَت سيرته فيها، ثم نُقِلَ عنها إلى قَضَاء غَرْناطة فلم يطول بها، وقَدِمَ علينا قُرْطبة فأخذنا عنه"[21]

"وَقَالَ الفَقِيْه مُحَمَّد بن حَمَّاده السَّبْتِيُّ: جلس القَاضِي لِلمُنَاظَرَةِ وَلَهُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، وَوَلِيَ القَضَاءَ وَلَهُ خَمْس وَثَلاَثُوْنَ سَنَةً، كَانَ هَيِّناً مِنْ غَيْرِ ضَعفٍ، صَلِيْباً فِي الحَقِّ، تَفَقَّهَ عَلَى

(18) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 285/4، وينظر سير أعلام النبلاء: 14/ 482.

(19) ينظر معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي: 294، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 67/4، والأعلام للزركلي: 99/5.

(20) قال عنه الذهبي: " لَمْ يَحمل القَاضِي العِلْم فِي الحَدَاثَة، وَأَوّل شَيْء أَخَذَ عَنِ الحَافِظ أَبِي عَلِيٍّ الغَسَّانِيّ إِجَازَة مُجَرَّدَة" سير أعلام النبلاء: 213/20.

(21)طبقات علماء الحديث:79/4.

أَبِي عَبْدِ اللهِ التَّمِيْمِيّ، وَصَحِبَ أَبَا إِسْحَاقَ بنَ جَعْفَرٍ الفَقِيْه، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِسَبْتَةَ فِي عصرٍ أكثر توالف مِنْ تَوَالِيفِهِ"[22].

شيوخه:

للقاضي شيوخ كثر، وفي علوم مختلفة، ومنهم قرأ عليه، ومنهم من أجازه، يقول القاضي في ترجم شيوخه: " وأحيل على فهارس الأشياخ على العموم في سائر أنواع العلوم، وأُسَمِّي أشياخي الذين أخذت عنهم قراءة وسماعا ومناولة وإجازة وممن كتب إليّ ممن لم ألقه..."[23]، وسأكتفي بذكر بعضهم

الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي، من فقهاء سبتة (505هـ)[24] .

الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي من فقهاء الأندلس، (508هـ)[25].

خلف بن يوسف بن فرتون النحوي: من أهل شنترين (513هـ)[26].

القاضي الشهيد الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون الصدفي المعروف بابن سكرة، أصله من سرقسطة (514هـ)[27].

الفقيه الحاكم أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد، من علماء قرطبة، (532هـ)[28] .

تلاميذه

من أشهر تلاميذ القاضي عياض

(22)سير أعلام النبلاء: 214/20.

(23)الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض: 25 .

(24)الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض: 27.

(25) نفسه: 46.

(26) نفسه: 149.

(27) نفسه: 129. .

(28) نفسه:97.

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي، يكنى بـ(أبي جعفر وأبي العباس وأبي القاسم والأخيرة قليلة) (592هـ)[29].

عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد، أبو جعفر ابن القصير الأَزديّ، الغرناطي(576 هـ)[30].

يحيى بْن مُحَمَّد بْن عَبْد العزيز بْن عقال، أَبُو زكريّا الفِهْريّ، البَلَنْسيّ. (567 هـ)[31].

مُحَمَّد بْن أَبِي الطيب سَعِيد بْن أَحْمَد بْن سَعِيد بْن عَبْد البر بْن مجاهد، الفقيه أَبُو عَبْد اللَّه الْأَنْصَارِيّ، الإشبيليّ، المالكيّ، الْمُقْرِئ المعروف بابن زرقون(586 هـ)[32].

وفي رحلته العلمية ترك القاضي كثيرا من المصنفات، انتشرت شهرة في المغرب والمشرق، ومن هذه المصنفات:

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، والسيف المسلول على من سب أصحاب الرسول، والإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، وترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، ومشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم، ومشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث، و مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار الموطأ والصحيحين في الحديث، وغيرها.

"توفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، رحمه الله تعالى، ودفن بباب إيلان داخل المدينة"[33].

كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم

شرح من أهم شروح صحيح مسلم، وقد جاء هذا الكتاب إكمالا لكتاب الإمام المازري الذي يعد من أوائل الشروح على صحيح مسلم، وقبل الحديث عن الإكمال ينبغي أن نقف عند

(29)الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: 208/1.
(30) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: 586/12.
(31) نفسه: 358/12.
(32) نفسه:821/12.
(33) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 485/3 .

كتاب المعلم أولا، فكتاب المعلم بفوائد مسلم هو من إملاء الإمام المازري الذي دونه تلاميذه، جاء في مقدمة الكتاب: " هذا كتاب قصد فيه إلى تعليق ما جرى في مجالس الفقيه الإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن علي المازري رضي الله عنه حين القراءة عليه لكتاب مُسْلِم بن الحجاج – رحمه الله– في شهر رمضان المكرم من سنة تسع وتسعين وأربعمائة منقولاً ذلك بعضه بحكاية لفظ الفقيه الإمام أيده الله وأكثره بمعناه." (34)، فالكتاب كما قال تلاميذه هو من الإملاء فجاء منقولا عنه لفظا أو معنى، ثم إن تلاميذه قد عرضوا عليه ما نقلوه فنظر فيه وهذبه(35).

والقاضي عياض يذكر في مقدمة كتابه (إكمال المعلم) علاقته بكتاب الإمام المازري (المعلم)، وهذه العلاقة تعكس صور ما عُرِف عن أهل المغرب من اهتمامهم بدراسة صحيح مسلم، فيقول: " فإني عند اجتماع طلبة العلم لديّ في التفقّه في صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج – رحمه الله –والوقوف على معاني أخباره،..." وذكر أنه لم يجد كتابا مختصا " في الكلام على مشكل أسانيده في كتابه الذى ألفَه على هذا الكتاب، وكتاب الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري"، إلا كتاب (تقييد المهمل) لشيخه الحافظ أبي علي الحسين الجيَّاني ، وكتاب المازري في شرح معانيه المسمى بـ(المعلم)، " وكل واحد من الكتابين أجازه لنا مؤلفُه "، وبعد ذكرِه شيئا من مزايا الكتابين بيّن أن الإحاطة والكمال لا تكون لعمل بشري، وقد التمس العذر لما اعترى الكتابين من بعض النقص قائلا: " والعذر بَيِّنٌ، فإنَّ كتابَ (المعلم) لم يكن تأليفاً استجمع له مؤلفه، وإنما هو تعليق ما تضبطه الطلبةُ من مجالسه، وتتلقفه وكدات الألباء، وكذلك (تقييد المهمل) ، حال بين الشيخ فيه وبين استيفاء غرضه ما دهمه من مُزْمِن مرضه "(36).

وما بينه القاضي من أسباب إكماله (المعلم) من سد ما اعترى الكتاب من عدم تفسير بعض الأحاديث المشكلة، وما هو محتمل المعنى فيحتاج إلى تحقيق وتقرير، أو ما كان مجمل فيحتاج إلى تفصيل، وغير ذلك، فمحقق كتاب (المعلم) الشيخ محمد الشاذلي لا يراها تخل بالكتاب، ولا هي نقص يحتاج إلى إكمال، فيقول: " فـ(المعلم) في الحقيقة من هذه الناحية بحر الأنظار، واستوعب كثيرا من الأفكار، حتى أن ما كان له من إكمالات مثل إكمال القاضي عياض هي من نواح تتعلق بجوانب أخرى هي ثانوية عند الإمام.

(34) المعلم بفوائد مسلم: 269-270 .

(35) ينظر شجرة النور الزكية: 220/1.

(36) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 71-73.

أما الناحية الاجتهادية في التشريع المبنية على الاستخراج من الكنز الثمين السنة النبوية التي هي المصدر المِعين الثريّ في الاستنتاج من بيان الأسوة الأولى الرسول الكريم – ﷺ – فقد صرف لها الإمام المازري عناية بالغة لم تفتقر إلى تكميل أساسي بل إلى ما هو من الإفاضة من نبعه ذاته"[37].

أما كتاب الإكمال فيذكر القاضي عياض أن تأليفه هذا الكتاب جاء إجابة لطلابه، والقاضي لم يرد أن يُفرد كتابا في هذا المجال، ولكنه أراد السد والإكمال وفاء منه لشيخه المازري، وأيضا اعترافا منه بما احتواه (المعلم) "من فوائد جمَّة لا تُضاهى، ونكت مُتْقَنَةٍ، وقف عندها حسن التأليف وتناهى"، وإنما أراد أن يكون كتابه (إكمال المعلم) " كالتذييل لتمامه والصلة لإكمال كلامه"، ثم بين أنه في (إكمال المعلم) أعاد ترتيب الكتاب على تريب مسلم[38] .

وقامت عدة مؤلفات متعلقة بكتاب إكمال المعلم، فمن هذه الكتب ما وضعه الإمام أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي (728هـ) وسماه إكمال إكمال المعلم، " ذكر فيه أنه ضمنه كتب شراحه الأربعة المازري، وعياض، والقرطبي، والنووي، مع زيادات مكملة، وتنبيه"[39]، ثم الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي (895هـ)، وأسماه مكمل إكمال الإكمال[40] ، ولإكمال المعلم اختصار للمحدث الفقيه أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري، الصّفّار[41].

(37) المعلم بفوائد مسلم: 1/5–6 .
(38) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 73 وما قبلها.
(39)كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 1/555.
(40) الكتابان مطبوعان طبعة قديمة في كتاب واحد، نشر دار الكتب العلمية.
(41) ينظر نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار:2/322.

المبحث الأول: دور المعجم اللغوي عند المفسرين والشراح

يمثل المعجم اللغوي رصيدا لمفردات اللغة ومصدرا لمعرفة دلالات الوحدات الصوتية، فهو يختص بدراسة المفردة من حيث أصولها واشتقاقاتها وتصاريفها ودراستها دلاليا، وأيضا تقوم بعض المعاجم اللغوية ببيان أحوال المفردة وما اعتراها من انتقال دلالي بحسب الاستعمال اللغوي، وهو ما يخدم الدرس السياقي أو التداولي.

ويكمن الدور الذي يؤديه المعجم اللغوي في عملية التفسير في بيان اللفظ وتعريفه وأصوله واشتقاقاته مع دلالته الاستعمالية في النص، فهذه النصوص هي مصدر من مصادر اللغة، واستعمالاتها الدلالية أولى باعتبارها، وهي تمثل مرحلة من مراحل التطور الدلالي للألفاظ، فقد شهدت كثير من الألفاظ دلالات لم تكن معهودة في الاستعمال، ودور المعجم التفسيري هو بيان أصول الدلالة، ثم دلالتها التي تُعِين على بيان مفهوم النص.

ويرسم لنا الشاطبي هذا الدور في سياق عباراته التي جاءت في معرض كلامه عن (بيانِ قَصْدِ الشَّارِعِ فِي وَضْعِ الشَّرِيعَةِ لِلْإِفْهَامِ) في المسألة الأولى، فذكر أن "هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْمُبَارَكَةَ عَرَبِيَّةٌ، لَا مَدْخَلَ فِيهَا لِلْأَلْسُنِ الْعَجَمِيَّةِ"، وهو في هذه المسألة عرض فيها قضية الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم، وبين طرق تعامل العرب مع الألفاظ الدخيلة والمعربة، وأن هذا الأمر معروف عند أهل اللغة، ثم يقول في نفس السياق:" فَإِن قُلْنَا: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا عُجْمَةَ فِيهِ، فَبِمَعْنَى أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى لسان معهود العرب فِي أَلْفَاظِهَا الْخَاصَّةِ وَأَسَالِيبِ مَعَانِيهَا، وَأَنَّهَا فِيمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنْ لِسَانِهَا تُخَاطِبُ بِالْعَامِّ يُرَادُ بِهِ ظَاهِرُهُ، وَبِالْعَامِّ يُرَادُ بِهِ الْعَامُّ فِي وَجْهٍ وَالْخَاصُّ فِي وَجْهٍ، وَبِالْعَامِّ يُرَادُ بِهِ الْخَاصُّ، وَالظَّاهِرُ يُرَادُ بِهِ غَيْرُ الظَّاهِرِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ أَوْ وَسَطِهِ أَوْ آخِرِهِ، وَتَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ يُنْبِئُ أَوَّلُهُ عَنْ آخِرِهِ، أَوْ آخِرُهُ عَنْ أَوَّلِهِ ، وَتَتَكَلَّمُ بِالشَّيْءِ يُعْرَفُ بِالْمَعْنَى كَمَا يُعْرَفُ بِالْإِشَارَةِ، وَتُسَمِّي الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِأَسْمَاءَ كَثِيرَةٍ، وَالْأَشْيَاءَ الْكَثِيرَةَ بِاسْمٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّ هَذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهَا لَا تَرْتَابُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ هِيَ وَلَا مَنْ تَعَلَّقَ بِعِلْمِ كلامها."[(42)] فالإمام الشاطبي رحمه الله يتحدث عن كيفية تعامل العرب مع ما دخل على لغتهم من ألفاظ، وذلك عند أهل اللغة الذين يعد كلامهم من مصادرها، ففي طيّات هذا البيان يبرز دور بعض المصنفات المعجمية التي تقوم على حصر هذه الالفاظ وبيان أصولها، من ذلك كتاب المعرب من الكلام

(42) الموافقات: 2/ 103، وانظر: 2/ 101-104، وانظر أصول التفسير وقواعده: 137-138 .

الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي (ت: 540هـ)، والتعريب والمعرب، وهو حاشية ابن بري على كتاب الجواليقي، وغيرها.

وقد وظف العلماء المعجم اللغوي في شروحهم لحديث رسول الله — – ﷺ — الله عليه وسلم– ، وتنوعت صور هذا الاستعمال، فقد يستعمل في بيان دلالة لفظه، مثل ما جاء في شرح حديث الموطأ، (عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيُصَلِّي الصُّبْحَ"، فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، مَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ)[43]، فسّر شارح الحديث لفظ (متلفعات) باشتمال الثوب حتى يجلل به الجسد[44]، وجاء في معالم السن "التلفع بالثوب الاشتمال به"[45] ، وهذا المعنى دلت عليه المعاجم اللغوية، وهو اشتمال الجسد بالثوب، والتلفع أيضا تغطية الرأس، وكل ما شمله الغطاء كاملا يسمى تلفع، ومن ذلك تلفع الأرض وتلفع الشجر[46].

وقد استخدم شراح هذا الحديث المعجم في المقابلة الدلالية بين روايتي الحديث، (متلفعات، ومتلففات)، قال الباجي: "وَرَوَى يَحْيَى مُتَلَفِّفَاتٍ وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ رُوَاةِ الْمُوَطَّأِ وَالْأَكْثَرُ عَلَى مُتَلَفِّعَاتٍ وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ إلَّا أَنَّ التَّلَفُّعَ يُسْتَعْمَلُ مَعَ تَغْطِيَةِ الرَّأْسِ"[47]، وفي معجم مقاييس اللغة: "اللام والفاء أصل صحيح يدل على تلوّي شيءٍ على شيءٍ"[48].

ومثل ذلك عند تفسير قولها –رضي الله عنها– (بمروطهنّ) أتى بمفرد الكلمة (مِرط) ثم نقل عن الصحاح معناها، وهي أكسية من صوف أو خز[49] .

(43) الحديث في موطأ مالك، كتاب الصلاة، (وقت الصلاة) 35/1 .
(44) ينظر تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: 18/1.
(45) 132/1 .
(46) ينظر معجم مقاييس اللغة : (لفع)، والصحاح: (لفع).
(47) المنتقى شرح الموطأ: 9/1.
(48) معجم مقاييس اللغة: (لفف).
(49) ينظر تنوير الحوالك شرح موطأ مالك:18/1، والصحاح: (مرط) .

وكذلك عند شرحهم (فأسجع) من قوله – ﷺ – : (يَا ابْنَ الأَكْوَعِ: مَلَكْتَ، فَأَسْجِحْ إِنَّ القَوْمَ يُقْرَوْنَ فِي قَوْمِهِمْ)[50] قال العيني: "بِفَتْح الْهمزَة وَسُكُون السِّين الْمُهْملَة وَكسر الْجِيم وَفِي آخِره حاء مُهْملَة: من الإسجاح، وَهُوَ حسن الْعَفو، أَي: أرفق وَلَا تَأْخُذ بالشدة، "[51]، وبهذا المعنى فُسرت الكلمة في المعاجم اللغوية [52].

ومن صور الترجيح بين الألفاظ في حال شك الراوي بين لفظين، وذلك كما ورد في صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنها– الذي ذكرت فيه صلاة الكسوف، قال النبي – ﷺ – (قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ، حَتَّى لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا، لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ – حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ – تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لاَ أَطْعَمَتْهَا، وَلاَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ – قَالَ نَافِعٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ خَشِيشِ – أَوْ خَشَاشِ الأَرْضِ)[53]، وهذه بعض أراء الشراح حول هذه المسألة، فحكموا على ما جاء بالحاء المهملة بأنها من الوهم، وهو ما نسبه الدماميني إلى القاضي[54]، والخطابي يرد لفظ (خشيش) وقال: "ليس بشيء، إنما هو خشاش – مفتوحة الخاء– وهو حشرات الأرض وهوامها، فأما الخِشاش –مكسورة الخاء– فهو العود الذي يُجعل في أنف البعير"[55]، وبعضهم صحح اللفظين استنادا إلى دلالتهما المعجمية، وهو الدماميني في مصابيح الجامع، فقال: " الخِشاش: هوامُّ الأرض، وقيل: نباتُها، وهو مثلث الخاء المعجمة، وخُشَيش تصغيره"[56]، وذكر ابن الأثير ضبطها إما على الحذف فتكون بسكون الياء (خُشَيْش) أو بتضعيفها (خُشَيَّش)، ويوافق القاضي في وهم من قال بالحاء المهملة، وذلك أن معناها يابس النبات [57] .

(50) الحديث في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير رقم (3041): 748.
(51) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: 14/ 286.
(52) ينظر معجم مقاييس اللغة: (سجح)، والصحاح: (سجح).
(53) صحيح البخاري، باب الآدان، حديث رقم(745): 184 .
(54) ينظر مصابيح الجامع: 345/2.
(55) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري: 489.
(56) مصابيح الجامع: 345/2 .
(57) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: 33/2.

ومثل هذا ما جاء في كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين في الحكم على بعض الروايات بالتصحيف، وكان بيان هذا الحكم بعد تناول الروايات من الجانب المعجمي، فالحديث ورد بقوله – ﷺ – : (فإن القوم يُقْرَون في قومهم)، ثم قال: " وَقد صحف هَذَا جمَاعَة فَقَالَ بَعضهم: يقرونَ بِفَتْح الْيَاء وَضم الرَّاء، وَفَسرهُ بِأَنَّهُم يجمعُونَ المَاء وَاللَّبن. وَقَالَ آخَرُونَ: يغرون بالغين الْمُعْجَمَة، وَهَذَا تَصْحِيف مِمَّن لَا يعرف الحَدِيث"[58].

وابن الجوزي قد أشار إلى أن التصحيف وقع على لفظ (يُقْرون)، وهذا الفعل من أقرى، أي: طلب القرى[59]، والتصحيف وقع في ضبط الحرف الأول بالفتح، وهو على هذا الضبط يحمل دلالة الجمع كما أشارت إليه المعاجم [60]، وذكر ابن بطال الروايتين (بضم الياء وفتحها)، وتوافق مع ابن الجوزي في معنى رواية الضم، أما رواية الفتح فقال عنها: "ومن روى (يقرون) جعل القرى لهم أنهم يضيفون الأضياف"[61].

وأيضا قد وظّف صاحب مبتكرات اللآلئ والدرر بعض الدلالات المعجمية في المحاكمات التي عقدها بين الإمام ابن حجر والإمام العيني، وقد وقفت على شاهد من هذا، وهو في المحاكمة (الخامسة عشر بعد المائتين) التي ذكر فيها اعتراض العيني على ابن حجر عند تفسيره قولَ أبي هريرة – رضي الله عنه – : (وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ، هِيَ مَعِي، كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي)[62]، قال ابن حجر–رحمه الله–: "قَوْلُهُ: لَأَسْتَقْرِي الرَّجُلَ، أَيْ: أَطْلُبُ مِنْهُ الْقِرَى فَيَظُنُّ أَنِّي أَطْلُبُ مِنْهُ الْقِرَاءَةَ"[63]، ووجه اعتراض العيني –رحمه الله – ليس على دلالة الكلمة، وإنما كان على حمل الكلمة على هذه الدلالة، ويرى أنها لا تتوافق مع معنى النص، يقول العيني ردا على ابن حجر: "قلت: هَذَا الَّذِي قَالَه غير صَحِيح، وَيظْهر فَسَاده..."[64].

(58) كشف المشكل من حديث الصحيحين: 301/2 .
(59) ينظر تهذيب اللغة: باب القاف والراء، ولسان العرب: (قرا) .
(60) ينظر معجم مقاييس اللغة: (قرى) .
(61) شرح صحيح البخاري لابن بطال: 5/ 198-199 .
(62) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ، رقم(3708) : 914.
(63) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 89/7.
(64)عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 220/16.

والشيخ عبد الرحمن البوصيري–رحمه الله – يقضي في محاكمته هذه بأن هذه الكلمة (أَسْتَقْرِي) تحمل دلالتين، وهي من المشترك اللفظي، "وإنما اختار كل واحد منهما واحدا من المعنيين"[(65)].

وأولى علماء التفسير الجانب اللغوي اهتماما كبيرا فكانت بعض كتب التفسير ذات طابع لغوي، وعدوا ذلك من منهاج التفسير، ومن هذه الكتب تفسير البحر المحيط لآبي حيان الأندلسي (745هـ)، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل(880هـ)، أما من اهتم بتفسير الألفاظ وتفسير الغريب فهم كثرٌ، وهذه بعض المؤلفات :

الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (401 هـ).

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهانى (502هـ).

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (756 هـ)

التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (815هـ) .

تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ).

وبعض هذه المصنفات رتب على ترتيب سور القرآن الكريم، وبعضها صنف على ترتيب حروف المعجم، وهذا المنهج يمثل دراسة الدلالة المعجمية لألفاظ القرآن الكريم.

الدلالة المعجمية:

لكي نقف على مفهوم الدلالة المعجمية فإننا سنبين بإيجاز مفهوم الدلالة، ثم مفهوم المعجم.

مفهوم الدلالة

يدور مفهوم الدلالة عند علماء العرب حول المعنى، فبيْن مفهوم الدلالة ومفهوم المعنى تداخلٌ حتى اتفق إطلاقهما في كثير من الأحيان على أنهما مصطلحٌ ذو مفهوم واحد[(66)]، وجاز

(65) ينظر مبتكرات اللآلئ والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر: 345-346.

(66) ينظر التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العرب المتقدمين: 73- .

أن يحل أحدهما محل الآخر، فلذلك تقاربت تعريفات الدلالة عندهم، ويقول أحمد مختار عمر في تعريف الدلالة: " يعرفه بعضهم بأنه (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو (ذ لك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى)، أو (ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى)"[(67)].

وارتباط الدلالة بمفهوم المعنى ارتباط تطابقي[(68)] بين الصورة الذهنية والخارج، وإلى هذا الترابط أشار حازم القرطاجني، إذ يرى أن المعاني هي تلك الصورة الذهنية الحاصلة من معرفة الناس بالأشياء، ويعبر عن هذه الصورة بالألفاظ المتعارف عليها، فيصير " للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ "[(69)].

وقال الجرجاني: "الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[(70)]، فهو يبين مفهوم الدلالة بالمعنى العام، وهو يشير بهذا إلى علاقة الدال بالمدلول، هذه العلاقة كانت مدار اهتمام كبير عند علماء الأصول واللغويين، فكانت من أهم القضايا في دراسة المعنى، ويظهر ذلك في سعة التفكير والتحليل الذي تميز به الأصوليون، فأنتج تفكيرهم الدلالي بنظرته المتنوعة والشمولية للنص عدة تقسيمات للدلالة [(71)].

ومن الجانب اللغوي يمكن أن ننظر إلى الدلالة من ثلاثة جوانب أساسية، الجانب الوظيفي وتؤديه الكلمة من خلال الصيغة ومن خلال وجودها في نظام نحوي، وفي نظام سياقي أو مقامي، " وهو المعنى الذي لا يكتفي بتحليل تركيب المقال ولا بمعنى تحليل كلماته المفردة، وإنما يراه فوق ذلك في ضوء المقال"[(72)].

(67) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 11.
(68) المراد بالتطابق المعنى اللغوي، ولا يراد به قسم من أقسام الدلالة (المطابقة –الالتزام – التضمين).
(69) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 18/2 .
(70) معجم التعريفات: 91.
(71) ينظر علم الدلالة بين النظرية والتطبيق: 81–82.
(72)اللغة العربية مبناها ومعناها: 39.

المعجم

لفظ المعجم من أصل الكلمة (عجم)، وهذه المادة تحمل عدة دلالات ذكرها صاحب الصحاح[73]، ومن دلالاتها أنها تدل على الإبهام وعدم الوضوح، جاء في الصحاح: "وإنَّما سمّيت عَجْماءَ لأنَّها لا تتكلَّم. فكلُّ من لا يقدر على الكلام أصلاً فهو أعجم ومستعجم، والاعجم أيضا: الذي لا يُفصح ولا يُبين كلامَه، وإن كانَ من العرب"[74]، وذكر ابن فارس قول الخليل: " حُرُوفُ الْمُعْجَمِ مُخَفَّفٌ، هِيَ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ، لِأَنَّهَا أَعْجَمِيَّةٌ. وَكِتَابٌ مُعَجَّمٌ، وَتَعْجِيمُهُ: تَنْقِيطُهُ كَيْ تَسْتَبِينَ عُجْمَتُهُ وَيَضِحَ"[75]، ومنه أعجمت الحرف وأعجمت الكتاب أي: أزلت إبهامه بالنقط [76]، ولعل من هذا المعنى أطلق لفظ المعجم على كتاب المعجم، إذ هو يجمع بين دفَّتَيْه الألفاظ ليزيل غموضها بالشرح، قال ابن جني: " ثم إنهم قالوا: أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته. فهو إذًا لسلب معنى الاستبهام لا إثباته "[77] .

أما عن المعجم بالمعنى الاصطلاحي فيقول أحمد عبد الغفار عطار:" ولا نعلم بالدقة متى أطلق المعجم على هذا الاستعمال، ولكن الذي نعلمه أن أول من استعمل الكلمة رجال الحديث، وأول ما عرف كان في القرن الثالث"[78]، والمعجم هو " كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع"[79]، وفي المعجم الوسيط: " (المعجم) ديوَان لمفردات اللُّغَة مُرَتّب على حُرُوف المعجم (ج) معجمات ومعاجم وحروف المعجم حُرُوف الهجاء"[80] وتجتمع في المعجم اللغوي أمور منها، أنه يجمع مفردات اللغة مرتبة بمنهجية واحدة، وشرحها وتفسيرها وبيان دلالتها وأصولها، ولا يطلق مصطلح المعجم اللغوي إذا لم تجتمع فيه هذه الأمور، يقول أحمد عطّار: "فإذا جمعنا كل ألفاظ اللغة في كتاب ولم نُصْحِبْها فإنه لا يسمى معجما، وكذلك لا يسمى معجما إذا وضعنا فيه

(73) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (عجم).
(74) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (عجم).
(75) معجم مقاييس اللغة: (عجم).
(76) ينظر سر صناعة الإعراب: 39/1=40، وتاج العروس: (عجم).
(77) الخصائص: 78/3.
(78) مقدمة الصحاح: 38 .
(79) نفسه.
(80) (عجم).

كلمات معدودة مشروحة، بل لا بدا أن يكون المعجم كما عرفناه ووصفناه"[81]، والدكتور عبد القادر عبد الجليل يعرف المعجم على أنه " مرجع يشتمل على ضروب ثلاثة الأول: وحدات اللغة مفردة أو مركبة – الثاني: النظام التبويبي – الثالث: الشرح الدلالي" "وعلى هذه المرتكزات الثلاثة يقوم المعجم بشكله العام، من حيث كونُه وعاءً يحفظ متن اللغة"[82]، وهذه الضوابط تخص المعجم العام أو المعجم اللغوي.

ويبين د. تمام حسان الدور الوظيفي للمعجم، فالمعجم ليس من وظيفته رسم معنى التراكيب، لعدم ارتباطه بـ"شبكة من العلاقات العضوية والقيم الخلافية"، وهو يتكون من قائمة من الكلمات " التي تسمّي تجارب المجتمع أو تصفها أو تشير إليها "، وهذه التجارب هي الوظيفة الاستعمالية للمفردة، التي قد تكسبها التجربة دلالات أخرى غير المعنى الأصلي، ولكن إذا انتظمت داخل التركيب تحددت دلالتها، "لأن الكلام وهو مجلى السياق لا بُدَّ أن يحمل من القرائن المقالية (اللفظية) والمقامية (الحالية) ما يعيّن معنًى واحدًا لكل كلمة، فالمعنى بدون المقام، سواء أكان وظيفيًّا أم معجميًّا، متعدد ومحتمل؛ لأن المقام هو كبرى القرائن، ولا يتعيّن المعنى إلّا بالقرينة"[83]، وفي الواقع أن النظرة المعجمية الحديثة تغيرت عما كانت عليه عند المعجميين الأوائل، فالنظرة الحديثة لم ترتضِ بما أودعه الأوائل في مصنفاتهم المعجمية من مسائل نحوية وصرفية، "فليس من مهمة المعجم الحديث أن يبين كيف نشتق اسم الفاعل من فعل من أفعال اللغة، ولا الجمع لكل اسم من أسماء اللغة، ولكن المعجم قد يعرض لشيء من هذا حين تكون الصيغة الشائعة غير جارية على النظام المألوف لاسم الفعل أو الجمع"[84].

ويبدو أن الفكر المعجمي عند علماء العربية شهد منذ البداية تنوعا في التصانيف، فقد ظهر كتاب العين (الخليل بن أحمد 170هـ) بشكل يتوافق مع أسس تكوين المعجم اللغوي، و ظهر في مرحلة الرسائل المعجمية التي هي عبارة تجميع الألفاظ المتعلقة بموضوع واحد، ومن هذه

(81) مقدمة الصحاح: 38 .
(82)المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية: 33 .
(83) اللغة العربية مبناها ومعناها: 39 .
(84) دلالة الألفاظ، إبراهيم انيس:50 .

المؤلفات كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري، وله أيضا كتاب اللبأ واللبن، وكتاب الصفات للنظر بن شميل[85]، ويتحدث أحمد عطار عن إبداعية التفكير اللغوي عند علماء المسلمين في تصيف المعاجم فبين أنهم – وإن كانوا مسبوقين في ظهور المعاجم – إلا أنهم نالوا شرف الاكتمال والنضوج، فقال: "فإن من المقطوع به أنهم أول من وضعوا معجمات كاملة مستوعبة، وأول من وضعوا معجمات من أصحاب اللغات الحية، ..."[86].

والدور الذي يؤديه المعجم اللغوي هو دراسة اللفظ وبيان دلالته، أي معناه الأساسي، وهو ما يعرف بالدلالة المعجمية أو الدلالة الأساسية، ويطلق عليها بعضهم الدلالة الاجتماعية [87]، واهتمام العلماء بالدلالة المعجمية كان مرتبطا بتفسير نصوص القرآن الكريم، وهذا ما عرف عن ابن عباس، فهو يهتم ببيان معني ألفاظ القرآن ضمن تفسيره، وخاصة ما عرف عندهم بالغريب، يقول إبراهيم بن مراد: "فقد كانت لهذا الصحابي في مجال التفسير القرآني اجتهادات لغوية كثيرة قد جعلت بعض المحدثين يعتبره ((رائد الدراسات اللغوية للنصوص العربية)) ويعتبر تفسيره ((أول دراسة في علم المفردات عند المسلمين)) "[88]، وصنفت في هذا المجال أبحاثهم اللغوية وجمعت على شكل رسائل.

والمعجم هو المجال المختص بالدراسة الدلالية للكلمة على عدة مستويات، يقول د. إبراهيم أنيس: "ولكن المعاجم قديمها وحديثها تتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفا أساسيا، وتكاد توجه إليه كل عنايتها"[89] والدلالة المعجمية هي تلك المعاني التي يجمعها المعجم للكلمة، سواء أكان معنى أصليا أم معنى مجازيا، وكذلك المعنى المتغير في الاستعمال، ويقول د. أحمد الكراعين: "الدلالة المعجمية: هي تلك الدلالة أو المعاني المتعددة التي يوردها المعجم للألفاظ المفردة المرتبة ترتيبا معينا في لغة واحدة أو أكثر"[90].

(85) ينظر مقدمة محقق كتاب متخير اللفاظ: 14 .
(86) مقدمة الصحاح: 49 .
(87) ينظر دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 48.
(88) المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري: 19.
(89) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 51 .
(90) علم الدلالة بين النظرية والتطبيق: 103.

المبحث الثاني: توظيف الدلالة المعجمية في كتاب إكمال المعلم

بدأ الإمام مسلم –رحمه الله– كتابه بعد مقدمته بكتاب الإيمان، وقد جمع فيه ستة وتسعين بابا، وأول باب فيه (باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدَر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبرّئ ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه)[91]، وكتاب إكمال المعلم يجمع بين شرحين الثاني منهما إكمال للأول فرأيت أن لا أهمل شرح الإمام المازري لأنه الأصل، وعند تتبعي لبعض النماذج من طرق توظيفهم للدلالة المعجمية في شرح نصوص الحديث وجدت أنهما يسيران بمنهج واحد في الغالب، وكان هذا المنهج يقوم على تتبع الألفاظ الغريبة أو التي يحتاج إلى بيانها معنى النص، ويظهر اهتمام الشيخين –رحمهما الله– بهذا الجانب التفسيري في كثرة النقل عن أصحاب المصنفات اللغوية، (الكسائي وأبو عبيدة والهروي والخطابي وابن دريد، وغيرهم)، وكما وظفوا دلالة اللفظ المعجمية لتيسير فهم النص، فقد وظفوا دلالات أخر بغية الإيضاح ودعما للتفسير، فمن هذه الدلالات الدلالة الصرفية التي تظهر في بيان اشتقاقات اللفظ وتصريفاته، وكذلك مفرده وجمعه، كما جاء في تفسير قوله–ﷺ–: (الأمر أُنُفٌ)[92]، و(أفلح إن صدق)[93]، وعند تفسيره معنى الخيلاء [94]، وغيرها.

المصادر اللغوية التي وظفها في بيان الدلالة المعجمية:

إن ما احتوته المعاجم من دلالات الألفاظ قد استقتها من كلام عربي فصيح، وهو القرآن الكريم والحديث وكلام العرب من شعر ونثر: أقوال وأمثال، وقد دوّنوا ما سمعوه ونقلوه في كتبهم، فكان على من جاء بعدهم من مفسرين أن يأخذوا منهم، والإمام المازري والقاضي سلكا مسلك غيرهم في هذا، فكانوا يوردون مع تفسيرهم للفظ المصدر اللغوي للدلالة، وهذه بعض الشواهد على ذلك

(91) هذا على التبويب الوارد في كتاب إكمال المعلم.
(92) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 198/1.
(93) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 221/1 .
(94)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 295.

ـ القرآن الكريم، كثيرا ما يورد الشارح عقب تفسيره اللفظ آية من كتاب الله، فمن ذلك تفسيره قوله – ﷺ – (فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)[95]، عصموا بمعنى منعوا، وأورد قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[96] ، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ ﴾[97]، ومنه أيضا ما جاء في تفسير قوله – ﷺ – (ومَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أَوْ قالَ: عَدُوّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إلا حَارَ عَلَيْهِ)، قال: (حار) بمعنى رجع، والحَوْر : الرجوع، واستشهد على ذلك بقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ ﴾[98].

ـ الحديث، قد يستشهد الشارح على المعنى الدلالي للكلمة بحديث النبي –ﷺ– وذلك قد يكون بحديث غير الحديث المراد شرحه، كما جاء في تفسير قول أبي هريرة: (فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ)[99]، فسره بـ" تضامتُ وتداخلتُ" ، واستشهد بالحديث (إذا صلت المرأة فلتحتفز).

وقد يفسر الكلمة ويستشهد على المعنى المعجمي بلفظ آخر من رواية أخرى، مثل ما وقع في قوله – ﷺ – : (اشربوا في آنية الأدم التي يُلاث على أفواهها)[100].

وقد يفسرها بأقوال الصحابة، ومنه تفسيره لكلمة الخيلاء فقال: " الخيلاء التكبر في كل شيء، ومنه قول طلحة لعمر: إنا لا نخول عليك. قال الهروي: أي لا نتكبر"[101].

---

(95) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 246/1.

(96) المائدة : 67 .

(97) هود: 43 .

(98) الانشقاق: 14.

(99)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 262/1.

(100) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 234.

(101)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 295.

– أقوال العرب، أما أقوال العرب فقد تنوعت في كتاب الإكمال بين الشعر وما تناقله العرب من كلامهم وأساليبهم، وهذه بعض الشواهد

قول أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– (لو منعوني عقالا)[102]، عند تفسيره العقال بصدقة العام ذكر لذلك ما تستعمله العرب من كلامهم وهو: (أُخذ منه عِقال هذا العام)، إذا أخذ صدقته، وأورد شاهدا على ذلك :

سعى عقالاً فلم يترك لنا سبَداً ... فكيف لو قد سعى عمرو عِقالين

وعند تفسير قوله – ﷺ –: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)[103]، بعد أن بين المراد من النصيحة، ذكر قول الخطابي: " ...، ومعناها في اللغة: الإخلاص، من قولهم: نصحت العسل إذا صفيته".

وقوله – ﷺ – : (الكبر بَطَرُ الحق وغَمْط الناس) قال: "ومعنى (بَطر الحق): إبطاله، مأخوذ من قول العرب: ذهب دمه بَطْراً وبَطَراً، أي: باطلاً"[104].

نماذج من استخدام الدلالة المعجمة في كتاب إكمال المعلم

ابتدأ الباب الأول من كتاب الإيمان بما رواه يحيى بن يعمر: (كَانَ أَوَّل مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هؤُلَاء فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ ويَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ. وَذَكَر من شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ: أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، والَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بَالْقَدَرِ،...).

(102)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 244/1.
(103) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 306.
(104)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 361.

جاء في نص الحديث (**ويتقفرون العلم**)[105] وكان أول الشرح هو بيان مدلول هذه الكلم، وبيان ما ورد من روايات أخر، وكلمة (يتقفرون) بمعنى يتتبعون، وأستأنس لذلك بما نقله عن أبي عبيدة وابن السكيت، وأكمل القاضي بيان ذلك بذكر بقية روايات الكلمة (يتقفرون ويتفقرون ويتقَفَّوْن)، وصحَّحَ كلَّ ذلك، وقال بأنها متقاربة المعنى، والتقارب في المعنى هنا هو تقارب سياقي، فسياق الكلام يقبل كل الكلمات، أما التقرب المعجمي فواقع بين لفظي (يتقفرون ويتقَفَّوْن)، وقد بيَّنَ القاضي ذلك بما نقله عن الهروي والخطابي وابن دريد، وهو تتبع الأثر، جاء في تهذيب اللغة: " وَيُقَال: قَفَر أثرَه يَقفِر قَفْراً، وتقفّره تقفُّراً، واقتَفَره اقتفاراً: إذا تتبَّعَهُ"[106]، وفي معنى (يتقفون) قال في التهذيب: " قفا: قَالَ اللَّيْث: القَفْوُ: مصدرُ قولِك: قَفَا يَقْفُو قَفْواً، وَهُوَ أَن يتَّبع شَيْئا "[107].

أما الرواية الثالثة (يتفقرون) ففسرها القاضي بأنهم "يخروجن غامضه ويبحثون عن أسراره، ويفتحون مغلقه"، واستدل على ذلك بقول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – في شعر امرئ القيس: (افتقر عن معَان عُوْرٍ أصَحَّ بَصَرٍ)، وقال القاضي في مشارق الأنوار عن هذه الرواية: " وَأما بِتَقْدِيم الْفَاء فِي الرِّوَايَة الأولى فَلم أر من تكلم عَلَيْهِ وَهُوَ عِنْدِي أصح الرِّوَايَات وأليقها بِالْمَعْنَى وَالْمرَاد أَي أَنهم يطْلبُونَ غامضه ويستخرجون خبيئه ويبحثون عَن أسراره ويفتحون مغلقه كَمَا قَالَ عمر فِي امْرِئ الْقَيْس "[108].

وقال ابن فارس: " وَمِمَّا شَذَّ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِبْدَالِ، يَقُولُونَ: اقْتَفَرْتُ الْأَثَرَ وَاقْتَفَيْتُهُ، وَتَفَقَّرَ مِثْلُهُ. قَالَ صَخْرٌ: فَإِنِّي عَنْ تَفَقُّرِكُمْ مَكِيثُ" [109]، وفي تاج العروس: " وَمن المجاز: قَفَرَ الأثَرَ، واقْتَفَرَه، وتَقَفَّرَه: اقْتَفَاهُ وتَبِعَهُ، هَكَذَا فِي النُّسَخ، والصَّوابُ: تَتَبَّعَه"[110]، واختلاف الصيغة بين الكلمتين (يتقفرون ويتقَفَّوْن) إما أن يحمل على الإبدال كما أشار إلى ذلك ابن فارس، وقد يكون هذا من باب اختلاف اللهجات كما في (اضمحل وامضحل) قال الجوهري: "واضمحل الشيء، أي ذهب. وفي لغة الكلابيين: امضحل الشيء، بتقديم الميم، حكاه

---

(105) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 196/1 .

(106) (قفر) .

(107) (قفا).

(108) 2/ 163.

(109) معجم مقاييس اللغة: (قفر) .

(110) (قفر).

أبو زيد"[111]، وقد وضع ابن جني وغيره من علماء العربية معيارا للحكم على الكلمة بالقلب، وهو إذا كان لكل كلمة تصاريفها فليست من باب القلب[112].

قوله: (الأمر أُنُفٌ)[113] أراد الإمام المازري –رحمه الله– أن يبيّن مدلول الكلمة المعجمي فتناولها بشيء من اشتقاقاتها ذكرا في ذلك قول الهروي: "قال الهروي: أي يستأنف استئنافًا من غير أن يسبق به سابق قضاء وتقدير"، وأنف الشيء أوله، كما نصت على ذلك المعاجم اللغوية[114]، وبيّن أن مدار هذه المادة اللغوية تصب في معانٍ واحدة، وقد وظَّف بعض الشواهد اللغوية في الاستدلال على هذا المعاني، منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[115]، والحديث: (أنزلت عليَّ سورة آنفاً)، وقول العرب: (وضعها في أُنفٍ من الكلاء) وقول امرئ القيس:

قد غدا يحملني في أنفه ... لاحق الصُّقْلَين محبوك مُمَرّ

قوله – ﷺ –: (إذا تطاوَل رِعاءُ البَهم في البنيان)[116] ، فسر (رِعاء البَهم) بـ(رعاء الشاة)، وقال: "لأن البَهم ولد الضأن والمعز، وقد يختص بالمعز"، ودلالة الكلمة كما أشارت إليها المعاجم على عدم الوضوح والإغلاق، وكل ما كان له لون واحد لا يشوبه شيء، وتتبع القاضي دلالات الكلمة المعجمية وبيّن ما وقع فيه بعض رواة صحيح البخاري من خطأ في ضبط كلمة (البهم) من: (إذا تطاول رِعاء الأبل البُهم) فجعلوا على الباء فتحا، والكلمة بالفتح يراد بها صغار الضأن والمعز، أما البُهم بالضم فهم الرعاة [117].

---

(111) الصحاح: (ضحل) .
(112) ينظر الخصائص: 72/2 .
(113) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 198/1.
(114) انظر معنى الكلمة واشتقاقاتها في معجم مقاييس اللغة (أنف)، والصحاح (أنف).
(115) سورة محمد؛ 16.
(116) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 209/1 .
(117) ينظر لسان العرب: (بهم).

قوله ﷺ: (**أفلح إن صدق**)[118]، يفسر القاضي الفلاح بالبقاء، مستأنسا بقول المؤذن: (حيّ على الفلاح)، والفلاح في النداء للصلاة "العمل المؤدي إلى الجنة والبقاء فيها"، وفسره بالفوز ونسبه للهروي، ومنه: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ﴾ [119]، ويورد في شرحه بعض اشتقاقات الكلمة، وهي (فَلَح) أي: بقاء، ويستشهد على ذلك بقول الأعشى: (هل لحيٍّ نال قومي من فَلَحٍ)، وبقول العرب لمن أصاب خيرا: مفلح، وبهذا المعنى جاء تفسير المعاجم للكلمة [120].

وفي شرح هذا الحديث وقع تفسير لكلمتين، وقد اكتفى بذكر المعنى المعجمي فقط، وهي (ثائر الرأس) وقد فسرها بقائمة منتفشة [121]، والثانية (دوي صوته) فسرها ببعده في الهواء [122].

والأحاديث المبوبة بـ(**باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه**)[123] تضمّنت الفاظا فسرها الشارح تفسيرا معجميا، ثم بيّن المقصود منها في سياق الحديث الواردة فيه، وهذه الالفاظ جاءت في أكثر من رواية، وهي:

(**الدباء**)، فسرها الشارح بالقرع، وهذا تفسيرها المعجمي[124]، وجاءت الكلمة في سياق النهي، وقد بيّن الشارح أن المراد من النهي هو أن يُنتبذ فيها ويُخمّر، يقول د. لاشين: " (الدباء) بضم الدال المشددة وهو القرع اليابس، والمنهي عنه اتخاذه وعاء، ففي الكلام محذوف، والإضافة بمعنى "من" والتقدير: أنهاكم عن النقع في وعاء من الدباء"[125].

وقد اختلف أهل اللغة في أصل الدباء، فمنهم من قال بأن من (دبب)، ومنهم من جعلها من المعتل، وفي أساس البلاغة من (دبأ)، ولام الكلمة إما همزة أو ياء[126]، وذكر في الفائق في غريب الحديث: "الدُّبَّاء: القرع والواحدة دباءة ووزنه فعال ولامه همزَة كالقثاء دباء على

(118) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 221/1 .
(119) سورة المؤمنون: 1.
(120) ينظر معجم العين: (فلح)، والصحاح: (فلح) .
(121) ينظر إكمال المعلم بفوائد مسلم: 221/1، وتاج العروس: (ثور) .
(122) ينظر إكمال المعلم بفوائد مسلم: 221/1 ، ومعجم مقاييس اللغة: (دوى) ، ولسان العرب: (دوا).
(123)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 228/1- .
(124) ينظر الصحاح: (دبى)، وتاج العروس: (دبب).
(125) فتح المنعم شرح صحيح مسلم: 63/1.
(126) أساس الباغة: (د ب أ) .

[اعْتِبَار] ظَاهر اللَّفْظ لِأَنَّهُ لم يعرف انقلاب لامه عَن وَاو أَو يَاء"، وجوز أن تكون لامها واوا؛ "لقَولهم: أَرض مدبوة وَأما مدبية فكقولهم: أَرض مسنية فِي مسنوة"[127].

(**الحنتم**)، "جرار خضر كانت تحمل فيها إلى المدينة الخمر"، قال الخليل: "الحَنْتَمُ من الجِرارِ الخُضْر، وما يضربُ لونُهُ إلى الحُمْرة"[128].

(**النقير**) فسرها الشارح بالنقر الذي يجعل في النخلة أو جذع النخلة فيلقى فيه التمر، وعلى هذا فسرها اصحاب المعاجم [129].

(**المُقَيَّر**) الوعاء المطلي بالقار، وفي رواية (المزفّت)، وهو ما طلي بالزفت [130].

قوله – ﷺ – : (**اشربوا في آنية الأدم التي يُلاث على أفواهها**)[131]، في هذا النص يفسر الشارح كلمتين:

الأولى (**الأدم**)، وهي الجلد المدبوغ، وهم يتخذون من هذه الجلود آنية لهم يشربون منها، والأدم جمع أديم[132]، ويرى ابن يعيش أن الأدم اسم جمع وليس جمع تكسير للكلمة[133].

والثانية الفعل (**يُلاث**) وهو بمعنى يربط، فـ(يلاث على أفواهها): تربط وتُلفُ، فالفعل من اللوث، أي الطيّ، فالشارح يقرب بيان المعنى ببيان مصدر الفعل، ثم يستشهد على ذلك برواية أخرى، وهو قوله – ﷺ – (" لا تَشْرَبُوا فِي النَّقِيرِ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، جَعَلَنَا اللهُ فدَاءَكَ، أَوَ تَدْرِي مَا النَّقِيرُ؟ قَالَ: " نَعَمْ. الْجِذْعُ يُنْقَرُ وَسَطُهُ، وَلا فِي الدُّبَّاءِ وَلا فِي الْحَنْتَمَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمُوكَى ")[134]، والموكى اسم مفعول من أوكى، وَ "هُوَ السقاء الرَّقِيق الَّذِي كَانَ ينتبذ فِيهِ ويوكى رَأسه فَإِنَّهُ

(127) الفائق في غريب الحديث: 407/1، وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: 96/2.
(128) كتاب العين: (باب الحاء والتاء)
(129) ينظر تهذيب اللغة: (نقر) .
(130) ينظر تاج العروس: (زفت) .
(131)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 1/ 234.
(132) ينظر البديع في علم العربية: 135/2 .
(133) شرح المفصل: 10/1.
(134) إكمال المعلم بفوائد مسلم: 236/1.

لا يشتد فِي الشَّرَاب إِلَّا انشقّ فَلَا يخفي تغيّره"[135]، والموكى اسم مفعول من أوكى، والوكاء الخيط، وأوكى أي: ربط، ومنه المثل: (يداك أوكتا وفوك نفخ)[136]، وعند النظر في مدلول الكلمتين في المعاجم نرى أن التقارب الدلالي بينهما في كون كل وعاء مربوط، ولكن ما كان ربطه من نفسه فمن (اللوث)[137]، وما كان ربطه بخيط فهو الموكى، ووجه استشهاده بالثاني على معنى الأول هو التقارب في المعنى المعجمي، وأيضا كانا متقاربين في سياقهما.

قول أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– (لو منعوني عقالا)[138]، ذكر الإمام تفسيرين للعقال، الأول: (صدقة عام)، واستأنس لذلك باستعمال اللغة، وهو قوله: "يقال: أُخذ منه عِقال هذا العام، إذا أخذ صدقته"، وأورد شاهدا على ذلك :

سعى عقالاً فلم يترك لنا سبَداً ... فكيف لو قد سعى عمرو عِقالين

والثاني: ما يعقل به البعير، والأمام المازني لم يجزم بقوة أحد المعنيين، إلاّ أنه قَوِيَ عنده القول الثاني؛ لقوله: " فيحتمل أن يكون هذا هو المراد بالحديث، وقاله على جهة المبالغة في التقليل"، وأبو عبيدة الذي كان مصدر القول الثاني عند المازني قد صرح براجحة القول الأول، وذلك بقوله: "فهذا كلام العرب المعروف عندهم"[139]، والقاضي يكتفي بذكر أقوال العلماء في معنى هذه الكلمة، تكملة ما ذكره الإمام المازري.

وعند النظر في هذه المسألة وشواهدها نجد أنه من الصعب تحديد مدلول الكلمة المراد في سياق هذا النص، فمقام القول يؤيد دلالة أن المراد بالعقال ما يعقل به البعير، ليكون المعنى: (لو منعوني ما كانوا يعطونه لرسول الله – ﷺ – صغيرا كان أم كبيرا)، والذي يؤيد أن المراد بالعقال الصدقة الرواية الأخرى: (لو منعوني عناقا) وفي رواية (جديا)، ويمكن حمل هذه الرواية على أن المراد به صغر الممثَّل به[140].

---

(135) الفائق في غريب الحديث: 407/1.

(136) ينظر الصحاح: (وكى)، وأساس البلاغة: (و ك ي)، وتاج العروس: (وكى) .

(137) ينظر معجم مقاييس اللغة: (لوث)، وكتاب الأفعال لابن القطاع: 146/3.

(138)إكمال المعلم بفوائد مسلم: 244/1.

(139) غريب الحديث لابن سلام: 4/2.

(140) ينظر غريب الحديث للخطابي، فقد بسط الأقوال وشواهدها، وينظر معنى الكلمة في معجم مقاييس اللغة: (عقل)، والصحاح: (عقل).

الخاتمة

انتهى عرض مباحث هذه الورقة التي حاولت فيها تسليط الضوء على أهمية الدلالة المعجمية في تفسير نص الحديث الشريف، لكونها من أسس شرح النص وفهمه، وكيفية توظيفها في بيان مراد النص، وأيضا الوقوف على جهود الشراح الأوائل في خدمة نص الحديث، وشمولية نظرهم، وسعة إدراكهم، فكان هذا نتاجهم، وما أعظمه من نتاج.

وتكمن أهمية دراسة الدلالة المعجمية في الآتي:

ـ الوقوف على المعاني التي يحملها العنصر اللغوي، وبالتالي يمكن الوقوف أحيانا على بعض أسباب اختلاف الشراح في تفسير النص.

ـ الوقوف على كيفية توظيف الدلالات الأخرى، كدلالة السياق والدلالة الصرفية وغيرها، في حال تعددت المعاني المعجمية للفظ.

وفي أثناء الدراسة والبحث برزت لي بعض النتائج الآتية:

ـ أهمية دراسة الجوانب الدلالية التي وظّفها شراح الحديث في مصنفاتهم.

ـ دراسة كيفية حمل اللفظ على المعنى المراد عن طريق توارد الدلالات على مفهوم اللفظ.

والحمد لله على أولا وآخرا، وصلى الله على رسوله محمد وسلم

المصادر والمراجع

أصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.

أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (388 هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.

الإمام المازري (نوابغ المغرب العربي)، حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس.

البديع في علم العربية، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606 هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748هـ)، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م.

تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م

ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (544هـ)، ج8، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط3، 1403هـ-1983م.

التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العرب المتقدمين، حمدان حسين محمد، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، الطبعة الأولى، 2002م.

التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (658هـ)

تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (911هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، 1389 هـ - 1969م.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 2011م.

دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980م.

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، المالكي (799هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط 2، 1413هـ - 1993م.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف محمد بن محمد بن عمر بن علي بن قاسم مخلوف (1360هـ)، خرّج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

شفاء الغليل في حل مقفل خليل، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (919هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

صحيح البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، طبعة جديدة ومضبوطة ومصححة ومفهرسة، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.

علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، د. أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1993م.

علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى (855هـ)،
عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

غريب الحديث، أبو القاسم بن سلام الهروي، (224هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، ط2، 1424هـ-2003م.

الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، القاضي عياض بن موسى بن عياض (544هـ)، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 1402 هـ - 1982 م.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ)، عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ- 2004م.

فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م.

كتاب الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، ، ابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: 515هـ)، رتبه د. سالم الكرنوكي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الأولى 1360هـ.

كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، حاجي خليفة (1067هـ)، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) 1941م.

كشف المشكل من حديث الصحيحين، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن، ابن الجوزي (597هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط 5، 1955م.

اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، 1994م.

مبتكرات اللآلئ والدرر في المحاكمة بين الغيني وابن حجر، الشيخ عبد الرحمن البوصيري (1935هـ)، حققه وعلق عليه رائد صبري ابن أبي علفة، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م.

متخير الألفاظ، أحمد بن فارس (395هـ)، حققه وقدم له هلال ناجي، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، 1390هـ – 1970م.

المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 1435هـ -2014م.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، أبو الفضل (544هـ)، المكتبة العتيقة تونس- ودار التراث القاهرة، 1978م.

معالم السنن، شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (388هـ)، طبعه وصححه محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932م.

معجم التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1993م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة ((المكتبة الشاملة))

المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، ابن الأبار (658هـ)، مكتبة الثقافة الدينية – مصر، الأولى، 1420 هـ - 2000

المعْلِمِ بفوائد مسلم، الإمام المازري، تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، ط2، 1988م.

المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (474هـ)، مطبعة السعادة – مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ.

منهاج الأدباء وسراج البلغاء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجنّي، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1986م.

الموفقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (790هـ)، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ – 1997م.

نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1988 م.

النهاية في غريب الحديث والأثر)، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير (606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط4، 1971م.